

تَقْسِمُ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ

سورة آل عمران ٢٢-٩-١٤٠٤-٤٧

دراسات الاستاذ:
مهدي الهادي الطهراني

سورة آل عمران

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سورة آل عمران

الم (١)

سورة آل عمران

اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ
الْقَيُّومُ (٢)

سورة آل عمران

نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ
يَدَيْهِ وَأَنْزَلَ التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ (٣)

مَنْ قَبْلُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَأَنْزَلَ الْفُرْقَانَ إِنَّ
الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَ
اللَّهُ عَزِيزٌ ذُو انتِقَامٍ (٤)

سورة آل عمران

إِنَّ اللَّهَ لَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي
الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ (٥)

هُوَ الَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي الْأَرْحَامِ
كَيْفَ يَشَاءُ لَمَّا آتَاهُ الْأَمْرُ هُوَ
الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (٥)

هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ
مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخْرُ مُتَشَابِهَاتٌ
فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ
مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ
تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ
ءَامَنَّا بِهِ كُلٌّ مِّنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا
أُولُو الْأَلْبَابِ (٧)

رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا
وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ
أَنْتَ الْوَهَّابُ (٨)

سورة آل عمران

رَبَّنَا إِنَّكَ جَامِعُ النَّاسِ لِيَوْمٍ لَّا
رَيْبَ فِيهِ إِنَّ اللَّهَ لَئَلَّا يُخْلِفُ
الْمِيعَادَ (٩)

سورة آل عمران

إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا
 أَوْلَادُهُمْ مِّنَ اللَّهِ شَيْئًا وَ أُولَئِكَ هُمْ وَفُودُ
 النَّارِ (١٠)

كَذَّابٍ عَالٍ فِرْعَوْنُ وَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ
 كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَآخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ وَ اللَّهُ
 شَدِيدُ الْعِقَابِ (١١)

قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا سَتُغْلَبُونَ وَ
تُخْسَرُونَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وَ بئسَ
الْمِهَادُ (١٢)

سورة آل عمران

قَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةٌ فِي فِئَتَيْنِ الَّذِينَ تَفَقَأْنَا فِيهِ
 تَفَقَأْنَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأُخْرَى كَافِرَةٌ
 يَرَوْنَهُمْ مِثْلَيْهِمْ رَأَى الْعَيْنُ وَاللَّهُ
 يُؤَيِّدُ بِنَصْرِهِ مَنْ يَشَاءُ إِنَّ فِي ذَلِكَ
 لَعِبْرَةً لِّأُولِي الْأَبْصَارِ (١٢)

زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ
 وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ
 الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَ
 الْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ
 الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَبَإِ (١٤)

سورة آل عمران

قُلْ أَتَيْتُكُمْ بِخَيْرٍ مِّنْ ذَٰلِكُمْ لِلَّذِينَ
انظُرُوا ظُرُوبَهُمْ جَنَابٌ تُجْرِي مِنَ
تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَ أَرْوَاحٌ
مُّطَهَّرَةٌ وَ رِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ وَ اللَّهُ
بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ (١٥)

الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا إِنَّنَا ءَامِنُونَ فَاغْفِرْ لَنَا
ذُنُوبَنَا وَ قِنَا عَذَابَ النَّارِ (١٦)

الصَّابِرِينَ وَ الصَّادِقِينَ وَ الْقَائِمِينَ وَ
الْمُنْفِقِينَ وَ الْمُسْتَغْفِرِينَ بِالْأَسْحَارِ (١٧)

سورة آل عمران

شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَ
 الْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا
 بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ
 الْحَكِيمُ (١٨)

سورة آل عمران

إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ مَا
 اخْتَلَفَ الَّذِينَ أَوْتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ
 بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ وَ
 مَنْ يَكْفُرْ بِآيَاتِ اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ
 الْحِسَابِ (٩)

فَإِنْ حَاجُّوكَ فَقُلْ أَسَلَمْتُ وَجْهِي لِلَّهِ وَ
مَنْ اتَّبَعَنِ وَقُلْ لِلَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ
وَالْأُمِّيِّينَ أَأَسَلَمْتُمْ فَإِنْ أَسَلَمُوا فَقَدْ
اهْتَدَوْا وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ
الْبَلَاغُ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ (٢٠)

ان الذين يكفرون بايات الله و
يقتلون النبيين بغير حق و يقتلون
الذين يأمرون بالقسط من الناس
فبئس لهم بعدا ابليس (٢١)

أُولَئِكَ الَّذِينَ خَبَطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي
الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمَا لَهُمْ مِنْ
نَاصِرِينَ (٢٢)

سورة آل عمران

أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا
 مِّنَ الْكِتَابِ يُدْعَوْنَ إِلَى كِتَابِ اللَّهِ
 لِيُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي يُقُولُونَ قَرِيبًا
 مِنْهُمْ فَهُمْ مُّعْرِضُونَ (٢٣)

ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَنْ نَمَسَّنَا النَّارُ
 إِلَّا أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ وَخَرَّهُمْ فِي
 دِينِهِمْ مَا كَانُوا يَفْتُرُونَ (٢٤)

سورة آل عمران

فَكَيْفَ إِذَا جَمَعْنَا لَهُمْ لِيَوْمٍ لَا رَيْبَ
 فِيهِ وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ
 وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ (٢٥)

سورة آل عمران

قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ
تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَ
تُعِزُّ مَن تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَاءُ
بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ
قَدِيرٌ (٢٦)

قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ

• قوله تعالى قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ أمر بالالتجاء إلى الله تعالى الذي بيده الخير على الإطلاق و له القدرة المطلقة ليتخلص من هذه الدعاوى الوهمية التي نشبت في قلوب المنافقين و المتمردين من الحق من المشركين و أهل الكتاب فضلوا و هلكوا بما قدروه لأنفسهم من الملك و العزة و الغنى من الله سبحانه و يعرض الملتجئ نفسه على إفاضة مفيض الخير و الرازق لمن يشاء بغير حساب.

قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ

• و الملك بكسر الميم مما نعرفه فيما بيننا و نعهده من غير ارتياب في أصله فمن الملك بكسر الميم ما هو حقيقى و هو كون شىء كالإنسان مثلا بحيث يصح له أن يتصرف فى شىء أى تصرف أمكن بحسب التكوين و الوجود كما يمكن للإنسان أن يتصرف فى باصرته بإعمالها و إهمالها بأى نحو شاء و أراد و كذا فى يده بالقبض و البسط، و الأخذ بها و الترك و نحو ذلك

قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ

• و لا محالة بين المالك و ملكه بهذا المعنى رابطة حقيقية غير قابلة التغير يوجب قيام المملوك بالمالك نحو قيام لا يستغنى عنه و لا يفارقه إلا بالطلاق كالبصر و اليد إذا فارقا الإنسان و من هذا القبيل ملكه تعالى (بكسر الميم) للعالم و لجميع أجزائه و شئونه على الإطلاق، فله أن يتصرف فيما شاء كيفما شاء.

قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ

- و من الملك (بكسر الميم) ما هو وضعي اعتباري و هو كون الشيء كالإنسان بحيث يصح له أن يتصرف في شيء كيف شاء بحسب الرابطة التي اعتبرها العقلاء من أهل الاجتماع لغرض نيل الغايات و الأغراض الاجتماعية،

قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ

• و إنما هو محاذاة منهم لما عرفوه في الوجود من الملك الحقيقي و آثاره فاعتبروا مثله في ظرف اجتماعهم بالوضع و الدعوى لينالوا بذلك من هذه الأعيان و الأمتعة فوائد نظير ما يناله المالك الحقيقي من ملكه الحقيقي التكويني.

قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ

• و لكون الرابطة بين المالك و المملوك فى هذا النوع من الملك بالوضع و الاعتبار نرى ما نرى فيه من جواز التغير و التحول فمن الجائز أن ينتقل هذا النوع من الملك من إنسان إلى آخر بالبيع و الهبة و سائر أسباب النقل.

قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ

• و أما الملك (بالضم) فهو و إن كان من سنخ الملك (بالكسر) إلا أنه ملك لما يملكه جماعة الناس فإن المليك مالک لما يملكه رعاياه، له أن يتصرف فيما يملكونه من غير أن يعارض تصرفهم تصرفه، و لا أن يزاحم مشيئتهم مشيئته فهو في الحقيقة ملك على ملك، و هو ما نصلح عليه بالملك الطولى كملك المولى للعبد و ما فى يده، و لهذا كان للملك (بالضم) من الأقسام ما ذكرناه للملك (بالكسر).

قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ

• و الله سبحانه مالك كل شيء ملكا مطلقا أما أنه مالك لكل شيء على الإطلاق فلأن له الربوبية المطلقة و القيمة المطلقة على كل شيء فإنه خالق كل شيء و إله كل شيء،

قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ

• قَالَ تَعَالَى: «ذَلِكَمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ»: الْمُؤْمِن - ٦٢ و قَالَ تَعَالَى: «لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَ مَا فِي الْأَرْضِ»: الْبَقْرَةَ - ٢٥٥، إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِنْ الْآيَاتِ الدَّالَّةِ عَلَى أَنَّ كُلَّ مَا يُسَمَّى شَيْئًا فَهُوَ قَائِمُ الذَّاتِ بِهِ مُفْتَقِرُ الذَّاتِ إِلَيْهِ لَا يُسْتَقِلُّ دُونَهُ فَلَا يَمْنَعُهُ فِيمَا أَرَادَهُ مِنْهَا وَ فِيهَا شَيْءٌ وَ هَذَا هُوَ الْمَلِكُ (بِالْكَسْرِ) كَمَا مَرَّ.

قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ

• و أما أنه مليك على الإطلاق فهو لازم إطلاق كونه مالكا للموجودات فإن الموجودات أنفسها يملك بعضها بعضا كالأسباب حيث تملك مسبباتها، و الأشياء تملك قواها الفعالة، و القوى الفعالة تملك أفعالها كالإنسان يملك أعضائه و قواه الفعالة من سمع و بصر و غير ذلك، و هي تملك أفعالها، و إذ كان الله سبحانه يملك كل شيء فهو يملك كل من يملك منها شيئا، و يملك ما يملكه، و هذا هو الملك (بالضم) فهو مليك على الإطلاق،

قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ

- قال تعالى: «لَهُ الْمُلْكُ وَ لَهُ الْحَمْدُ»: التغابن - ١، و قال تعالى: «عندَ مَلِيكَ مُقْتَدِرٍ»: القمر - ٥٥، إلى غير ذلك من الآيات، هذا هو الحقيقي من الملك و الملك.

قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ

• و أما الاعتبارى منها فإنه تعالى مالك لأنه هو المعطى لكل من يملك شيئاً من المال، و لو لم يملك لم يصح منه ذلك و لكان معطياً لما لا يملك لمن لا يملك، قال تعالى: «وَآتُوهُمْ مِنْ مَالِ اللَّهِ الَّذِي آتَاكُمْ»: النور - ٣٣.

قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ

• و هو تعالى ملىك يملك ما فى أيدى الناس لأنه شارع حاكم يتصرف بحكمه فيما يملكه الناس كما يتصرف الملوک فيما عند رعاياهم من المال،

قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ

- قال تعالى: «قُلِ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ مَلِكِ النَّاسِ»: الناس - ٢،
و قال تعالى: «وَأَتَاكُمْ مِنْ كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِنْ تَعَدُّوا نِعْمَتَ
اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا»: إبراهيم - ٣٤، و قال تعالى: «وَأَنْفَقُوا مِمَّا
جَعَلْنَاكُمْ مُسْتَخْلَفِينَ فِيهِ»: الحديد - ٧، و قال تعالى: «وَمَا
لَكُمْ أَلَّا تُنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَاوَاتِ وَ
الْأَرْضِ»: الحديد - ١٠، و قال تعالى: «لَمَنْ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ
الْوَّاحِدِ الْقَهَّارِ»: المؤمن - ١٦، فهو تعالى يملك ما في أيدينا
قبلنا و يملكه معنا و سيراه بعدنا عز ملكه.

قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ

• و من التأمل فيما تقدم يظهر أن قوله تعالى: اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ، مسوق:

قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمَلِكِ تُؤْتِي الْمَلِكَ مَنْ تَشَاءُ

• **أولاً:** لبيان ملكه تعالى (بالكسر) لكل ملك (بالضم) و مالكية الملك (بالضم) هو الملك على الملك (بالضم) فيهما) فهو ملك الملوک، الذي هو المعطى لكل ملك ملكه كما قال تعالى: «أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ»: البقرة - ۲۵۸، و قال تعالى: «وَ آتَيْنَاهُمْ مُلْكًا عَظِيمًا»: النساء - ۵۴.

قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ

- **و ثانيا:** يدل بتقديم لفظ الجلالة على بيان السبب فهو تعالى مالك الملك لأنه جلت كبرياؤه و هو ظاهر.

قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ

• **و ثالثا:** أن المراد بالملك في الآية الشريفة و الله أعلم ما هو أعم من الحقيقي و الاعتباري فإن ما ذكر من أمره تعالى في الآية الأولى أعني قوله: **تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ** و **تُنَزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ** و **تُعْزِزُ مَنْ تَشَاءُ** و **تُذَلُّ مَنْ تَشَاءُ** على ما سنوضحه من شؤون الملك الاعتباري و ما ذكره في الآية الثانية من شؤون الملك الحقيقي فهو **مالك الملك مطلقا.**

تؤتى الملك من تشاء و تنزع الملك ممن
تشاء

- قوله تعالى: تؤتى الملك من تشاء و تنزع الملك ممن تشاء، الملك بإطلاقه شامل لكل ملك حقا أو باطلا عدلا أو جورا فإن الملك (كما تقدم بيانه في قوله: «أن آتاه الله الملك» الآية: البقرة - ٢٥٨) في نفسه موهبة من مواهب الله و نعمة يصلح لأن يترتب عليه آثار حسنة في المجتمع الإنساني و قد جبل الله النفوس على حبه و الرغبة فيه،

تؤتى الملك من تشاء و تنزع الملك ممن
تشاء

- و الملك الذى تقلده غير أهله ليس بمذموم من حيث إنه ملك، و إنما المذموم إما تقلد من لا يليق بتقلده كمن تقلده جورا و غصبا، و إما سيرته الخبيثة مع قدرته على حسن السيرة، و يرجع هذا الثانى أيضا بوجه إلى الأول.

تؤتى الملك من تشاء و تنزع الملك ممن
تشاء

• و بوجه آخر يكون الملك بالنسبة إلى من هو أهله نعمة من الله سبحانه إليه، و بالنسبة إلى غير أهله نقمة و هو على كل حال منسوب إلى الله سبحانه و فتنه يمتحن به عباده.

تؤتي الملك من تشاء و تنزع الملك ممن
تشاء

• و قد تقدم: أن التعليق على المشية في أفعاله تعالى كما في هذه الآية ليس معناه وقوع الفعل جزافا تعالى عن ذلك بل المراد عدم كونه تعالى مجبرا في فعله ملزما عليه فهو تعالى يفعل ما يفعل بمشيئته المطلقة من غير أن يجبره أحد أو يكرهه و إن جرى فعله على المصلحة دائما.

تُعْزُّ مَنْ تَشَاءُ وَ تَذُلُّ مَنْ تَشَاءُ

- قوله تعالى: وَ تُعْزُّ مَنْ تَشَاءُ وَ تَذُلُّ مَنْ تَشَاءُ، العز كون الشيء بحيث يصعب مناله، و لذا يقال للشيء النادر الوجود إنه عزيز الوجود أى صعب المنال، و يقال عزيز القوم لمن يصعب قهره و الغلبة عليه من بينهم فهو صعب المنال بالقهر و الغلبة، و صعب المنال من حيث مقامه فيهم و وجدانه كل ما لهم من غير عكس ثم استعمل في كل صعوبة كما يقال: يعز علي كذا.

تُعَزُّ مَنْ تَشَاءُ وَ تَذُلُّ مَنْ تَشَاءُ

- قال تعالى: «عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ»: التوبة - ١٢٨، أى صعب عليه. و أستعمل فى كل غلبة كما يقال. من عز بز أى من غلب سلب، قال تعالى: «و عَزَّنِي فِي الْخِطَابِ»: ص - ٢٣، أى غلبنى و الأصل فى معناه ما مر. و يقابله الذل و هو سهولة المنال بقهر محقق أو مفروض قال تعالى: «ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذَّلَّةُ وَ الْمَسْكَنَةُ»: البقرة - ٦١، و قال تعالى: «وَ اخْفَضَ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ»: الإسراء - ٢٤، و قال تعالى أذَلَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ»: المائدة - ٥٤.

تُعَزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ

• والعزة من لوازم الملك على الإطلاق و كل من سواه إذا تملك شيئاً فهو تعالى خوله ذلك و ملكه، و إن ملك على قوم فهو تعالى آتاه ذلك فكانت العزة له تعالى محضاً و ما عند غيره منها فإنما هو بإيتائه و إفضاله. قال تعالى: «أُيْتِغُونَ عِنْدَهُمُ الْعِزَّةَ فَإِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعاً»: النساء - ١٣٩ و قال تعالى: «وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَ لِرَسُولِهِ وَ لِلْمُؤْمِنِينَ»: المنافقون - ٨ و هذه هي العزة الحقيقية و أما غيرها فإنما هي ذل في صورة عز.

تُعْزُّ مَنْ تَشَاءُ وَ تُدُلُّ مَنْ تَشَاءُ

- قال تعالى: «بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي عِزَّةٍ وَ شِقَاقٍ»: ص - ٢
و لذا أَرَدَفَهُ بِقَوْلِهِ «كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ قَرْنٍ فَنَادَوا
وَ لَاتَ حِينَ مَنَاصٍ»: ص - ٣.
- و للذل بالمقابلة ما يقابل العز من الحكم فكل شيء
غيره تعالى ذليل في نفسه إلا من أعزه الله تعالى (تعز
من تشاء و تدل من تشاء).

بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ

- قوله تعالى: بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، الأصل في معنى الخير هو الانتخاب و إنما نسمى الشيء خيرا لأننا نقيسه إلى شيء آخر نريد أن نختار أحدهما فنتخبه فهو خير و لا نختاره إلا لكونه متضمنا لما نريده و نقصده فما نريده هو الخير بالحقيقة، و إن كنا أردناه أيضا لشيء آخر فذلك الآخر هو الخير بالحقيقة، و غيره خير من جهته،

بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ

- فالخير بالحقيقة هو المطلوب لنفسه يسمى خيرا لكونه هو المطلوب إذا قيس إلى غيره، و هو المنتخب من بين الأشياء إذا أردنا واحدا منها و ترددنا في اختياره من بينها.

بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ

- فالشيء كما عرفت إنما يسمى خيرا لكونه منتخبا إذا قيس إلى شيء آخر مؤثرا بالنسبة إلى ذلك الآخر ففي معناه نسبة إلى الغير و لذا قيل: إنه صيغة التفضيل و أصله أخير. و ليس بأفعل التفضيل، و إنما يقبل انطباق معنى التفضيل على مورده فيتعلق بغيره كما يتعلق أفعل التفضيل، يقال: زيد أفضل من عمرو، و زيد أفضلهما، و يقال: زيد خير من عمرو، و زيد خيرهما.

بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ

• و لو كان خير صيغة التفضيل لجرى فيه ما يجرى عليه، و يقال أفضل و أفاضل و فضلى و فضليات، و لا يجرى ذلك فى خير بل يقال: خير و خيرة و أخيار و خيرات كما يقال: شيخ و شيخة و أشياخ و شيخات فهو صفة مشبهة.

بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ

• و مما يؤيده استعماله في موارد لا يستقيم فيه معنى أفعال التفضيل كقوله تعالى: «قُلْ مَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ مِنَ اللَّهْوِ»: الجمعة - ١١، فلا خير في اللهو حتى يستقيم معنى أفعال، و قد اعتذروا عنه و عن أمثاله بأنه منسلخ فيها عن معنى التفضيل، و هو كما ترى. فالحق أن الخير إنما يفيد معنى الانتخاب، و اشتمال ما يقابله من المقيس عليه على شيء من الخير من الخصوصيات الغالبة في الموارد.

بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ

• و يظهر مما تقدم أن الله سبحانه هو الخير على الإطلاق لأنه الذي ينتهي إليه كل شيء، و يرجع إليه كل شيء، و يطلبه و يقصده كل شيء لكن القرآن الكريم لا يطلق عليه سبحانه الخير إطلاق الاسم كسائر أسمائه الحسنی جلت أسماءه، و إنما يطلقه عليه إطلاق التوصيف كقوله تعالى: «وَاللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ»: طه - ٧٣، و كقوله تعالى: «أَأَرْبَابٌ مَّتَفَرِّقُونَ خَيْرًا أَمْ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ»: يوسف - ٣٩.

بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ

- نعم وقع الإطلاق على نحو التسمية بالإضافة كقوله تعالى: «وَاللَّهُ خَيْرُ الرَّازِقِينَ»: الجمعة - ١١، وقوله: «وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ»: الأعراف - ٨٧، وقوله «وَهُوَ خَيْرُ الْفَاصِلِينَ»: الأنعام - ٥٧ وقوله: «وَهُوَ خَيْرُ النَّاصِرِينَ»: آل عمران - ١٥٠، وقوله «وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ»: آل عمران - ٥٤، وقوله: «وَأَنْتَ خَيْرُ الْغَافِرِينَ»: الأعراف - ١٥٥، وقوله: «وَأَنْتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ»: الأنبياء - ٨٩، وقوله: «وَأَنْتَ خَيْرُ الْمُنزِلِينَ»: المؤمنون - ٢٩، وقوله: «وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ»: المؤمنون - ١٠٩.

بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ

• و لعل الوجه في جميع ذلك اعتبار ما في مادة الخير من معنى الانتخاب فلم يطلق إطلاق الاسم عليه تعالى صونا لساحته تعالى أن يقاس إلى غيره بنحو الإطلاق و قد عنت الوجوه لجنابة، و أما التسمية عند الإضافة و النسبة، و كذا التوصيف في الموارد المقتضية لذلك فلا محذور فيه.

بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ

- و الجملة أعنى قوله تعالى: بِيَدِكَ الْخَيْرُ تدل على حصر الخير فيه تعالى لمكان اللام و تقديم الظرف الذى هو الخبر، و المعنى أن أمر كل خير مطلوب إليك، و أنت المعطى المفيض إياه.

بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ

- فالجملة في موضع التعليل لما تقدمت عليها من الجمل أعنى قوله: تَوْتِي الْمَلِكُ مِنْ تَشَاءُ «إِلخ» من قبيل تعليل الخاص بما يعمه و غيره أعنى أن الخير الذي يُوْتِيه تعالى أعم من الملك و العزة، و هو ظاهر.

بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ

• و كما يصح تعليل إيتاء الملك و الإعزاز بالخير الذى بيده تعالى كذلك يصح تعليل نزع الملك و الإذلال فإنهما و إن كانا شرين لكن ليس الشر إلا عدم الخير فنزع الملك ليس إلا عدم الإعزاز فانتهاء كل خير إليه تعالى هو الموجب لانتهاء كل حرمان من الخير بنحو إليه تعالى نعم الذى يجب انتفاؤه عنه تعالى هو الاتصاف بما لا يليق بساحة قدسه من نواقص أفعال العباد و قبائح المعاصى إلا بنحو الخذلان و عدم التوفيق كما مر البحث عن ذلك.

بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ

و بالجمله هناك خير و شر تكوينيان كالملك و العزة و نزع الملك و الذلة، و الخير التكويني أمر وجودي من إيتاء الله تعالى، و الشر التكويني إنما هو عدم إيتاء الخير و لا ضير في انتسابه إلى الله سبحانه فإنه هو المالك للخير لا يملكه غيره، فإذا أعطى غيره شيئاً من الخير فله الأمر و له الحمد، و إن لم يعط أو منع فلا حق لغيره عليه حتى يلزمه عليه فيكون امتناعه من الإعطاء ظلماً، على أن إعطائه و منعه كليهما مقارنان للمصالح العامة الدخيلة في صلاح النظام الدائر بين أجزاء العالم.

بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ

• و هناك خير و شر تشريعيان و هما أقسام الطاعات و المعاصي، و هما الأفعال الصادرة عن الإنسان من حيث انتسابها إلى اختياره، و لا تستند من هذه الجهة إلى غير الإنسان قطعا، و هذه النسبة هي الملاك لحسنها و قبحها و لو لا فرض اختيار في صدورها لم تتصف بحسن و لا قبح، و هي من هذه الجهة لا تنتسب إليه تعالى إلا من حيث توفيقه تعالى و عدم توفيقه لمصالح تقتضى ذلك.

بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ

- فقد تبين: أن الخير كله بيد الله و بذلك ينتظم أمر العالم في اشماله على كل وجدان و حرمان و خير و شر.

بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ

- وقد ذكر بعض المفسرين: أن في قوله: بِيَدِكَ الْخَيْرُ إيجازاً بال حذف، و التقدير: بيدك الخير و الشر كما قيل نظير ذلك في قوله تعالى: «وَجَعَلْ لَكُمْ سَرَائِيلَ تَقِيكُمْ الْحَرَّ»: النحل - ٨١، أي و البرد.

بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ

- و كان السبب في ذلك الفرار عن الاعتزال لقول المعتزلة بعدم استناد الشرور إليه تعالى: و هو من عجيب الاجتراء على كلامه تعالى، و المعتزلة و إن أخطئوا في نفي الانتساب نفيًا مطلقًا حتى بالواسطة لكنه لا يجوز هذا التقدير الغريب، و قد تقدم البحث عن ذلك و بيان حقيقة الأمر.

بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ

• قوله تعالى: إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ فِي مَقَامِ التَّعْلِيلِ لِكُونَ الْخَيْرِ بِيَدِهِ تَعَالَىٰ فَإِنَّ الْقُدْرَةَ الْمَطْلُوقَةَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ تَوْجِبُ أَنْ لَا يَقْدِرَ أَحَدٌ عَلَىٰ شَيْءٍ إِلَّا بِإِقْدَارِهِ تَعَالَىٰ إِيَّاهُ عَلَىٰ ذَلِكَ، وَ لَوْ قَدَرَ أَحَدٌ عَلَىٰ شَيْءٍ مِنْ غَيْرِ أَنْ تَسْتَنْدَ قُدْرَتَهُ إِلَىٰ إِقْدَارِهِ تَعَالَىٰ كَانَ مَقْدُورَهُ مِنْ هَذِهِ الْجِهَةِ خَارِجًا عَنْ سَعَةِ قُدْرَتِهِ تَعَالَىٰ فَلَمْ يَكُنْ قَدِيرًا عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ،

بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ

• و إذا كانت لقدرته هذه السعة كان كل خير مفروض مقدورا عليه له تعالى، و كان أيضا كل خير إفاضة غيره منسوبا إليه مفاضيا عن يديه فهو له أيضا فجنس الخير الذي لا يشذ منه شاذ بيده، و هذا هو الحصر الذي يدل عليه قوله تعالى: بِيَدِكَ الْخَيْرُ.

بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ

تُؤَلِّجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَتُؤَلِّجُ النَّهَارَ
 فِي اللَّيْلِ وَتُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ
 وَتُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ
 تَرْزُقُ مَنْ نَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ (٢٧)